الفكرية والعاطفية والفنية بحيث أن طغيان عنصر واحد من هذه العناصر طغياناً بارزاً مغالى فيه ، يعد خروجاً بالأدب عن طبيعته وهدفيته من وجهة النظر الإسلامية .

ومن المعلوم أن المرحلة الرومانسية التي عصفت بالأدب الأوربي في أواخر القرن الثامن عشر وحتى منصف القرن التاسع عشر قد غالت في إبراز العنصر العاطفي في الأدب ، وكان ذلك على حساب العناصر الأخرى ، فصار الإنفعال هو الذي يوجه السلوك،وهو الذي يوجه العقل من وجهة النظر الرومانسية (٨) . وماهذا، في حقيقة الأمر ، إلا نتيجة لطغيان الحرية الفردية التي انتهت إليها الحياة الأوربية بعد الثورة الفرنسية وثبتت قيم « الليبرالية » في الحياة الإقتصادية والسياسية عامة (٩) ، ثم انتهى الأمر بها إلى اعتداد الإنسان بنفسه اعتداداً مغالى فيه إلي الدرجة التي تصوّر نفسه أنه حل محل الله ، وصار إلهاً جديداً ! !

هذه نتيجة الغلو العاطفي والإستسلام لهواجس « الأنا » وتضخيمها، ولاعجب أن يتولد من عنصر الإعتداد الزائف هذا والغلو العاطفي مرض خطير جعل هذا (الإله) الجديد يقع أسير الألم ، فيألفه حتى يتغنى به . وهذا ثمن الخروج عن التجانس والإنسجام في الفن وفي الحياة ، والإختلال في توزيع النسب الفكرية والعاطفية في حياة الإنسان وانعكاسها على فنه .

ولم نعتبر - نحن المسلمين - بهذا الذي وقع لأوربا ، بل صار لنا أيضاً أدب رومانسي ، حذو النعل للنعل ! ! يضخم العنصر ويبالغ في الإعتداد بالأنا ، ثم يستمتع بنغمة الألم المقدس ! ! وإن كان من الحق القول إن السمات الحضارية لإنساننا لم يكد الموج الطاغي أن يطمسها ، بل بقيت عناصر ذات خصوصية معينة في (رومانسيتنا)،لعل أبرزها عنصر الثورة على الوجود الأجنبي ومظاهره العسكرية والإقتصادية والثقافية في بلادنا .

ومهما يكن فإن موقف النظرية الأدبية في الإسلام من توزيع النسب في الفن، ليس قائماً على ردود الأفعال والتوفيق بين المذاهب ، كما أشرنا،بل هو موقف خاضع لواقعية التصور الإسلامي في نظرته للإنسان ونشاطاته .